البديع في شعر الإمام الحسن

وما قيل في حضرته (عليه السلام)

م. حوراء كاظم جواد الخزاعي
جامعة كربلاء / كلية العلوم الإسلامية

الإهداء

أهدي بحثي المتواضع هذا :-

إلى الَّذين سهروا على أمن العراق وحفظ مقدساتهِ لننام

إلى الذين بذلوا أنفسهم وأبناءهم وأموالهم لنحيا بسلام

إلى الذين ارتوت أرض العراق بدمائهم

فلهم مني ألفَ تحيةٍ وسلام

المقدمة

الحمد لله ربِّ العالمين والصلاة والسلام على محمد وآله أجمعين

أما بعد فأن الإمام الحسن بن علي (ع) من قواعد الإشعاع ، ومصادر الفكر الإسلامي فهو من أولئك الرجال الَّذين آثرهم الله بحاسة نفاذة تكتنه حقائق الأشياء فلا تخفى عليهم خافية في الأرض ولا في السماء، فأدبه ليس تملقاً لجمال ولا أدعاء وإنما هو صرخات تنطلق من عقل عبقري يفيض بعاطفة صادقة تظهر بين سطوره ، وتتجسد في معانيه حرقة القلوب لا صراحة العقول، ويذوب في محراب كبرياء النفوس لا مسائل العلوم ، ويشع في جوانبه وميض الأمل ونار الألم، وصرخة الخوف وحجة التحدي، فيدخل القلب بلا استئذان ومن غير أن يطرق باب العقول.

وعلى الرغم من أنه لم يقل من الشعر إلاَّ القليل مقارنة بخطبه النثرية ؛ ألاَّ أنَّ ظاهرة التفريط في فنون البديع ومحاسنه شاعت بين ثنايا شعره دون إكراه أو تكلف .

وقد أثبت أبن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ هـ بالشواهد أنَّ هذه الظاهرة قد ترسخت في التراث العربي شعراً جاهلياً وقرآناً كريماً ، وخطباً للرسول والصحابة ،وأشعار الشعراء في الأزمان التي سبقت أيام بشار بن برد ومن والاه في مسلكه الشعري .[١] منصباً اهتمامه في تقسيم أبواب محاسن الكلام والاستشهاد لها في كتابه (البديع)، فهو يتحدث عن الاستعارة والطباق والجناس والاعتراض وغيرها مما يتصل بالصنعة الشعرية ،والصياغة الفنية [٢] ولكنه لم يستطع أن يحدد العلاقة بين الصورة الشعرية والتعبير الشعري فهل هي علاقة الجزء بالكل ؟ أم علاقة الشيء المتفرد بقيمته ؟

وقد ارتأيت دراسة فنون البديع في شعر الإمام الحسن (ع) ؛ لأنَّ من شأن هذا الفن تحسين أوجه الكلام وتزويقه وإظهاره بحلية جديدة وأيضاً ؛لان الأمام الحسن بن علي (ع) لم يُعرف بشاعريته بين الناس عامة ، وإنما عُرِف بخطبه الدينية والسياسية التي فرضها واقع المجتمع الذي يعيش فيه.

وعليه أستجليت هذه الفنون البديعية في شعره حصراً مقسمة بحثي إلى مبحثين يسبقها التمهيد الذي تحدثتُ فيه عن الأمام الحسن وليدا تربى في كنف بيت الرسالة وحتى وفاته ،وأهم الظروف التي واجهتهُ .

أما المبحث الأول / البديع لغة واصطلاحا (البديع في شعر الإمام الحسن (ع))

المبحث الثاني / البديع فيما قيل فيه من قصائد تنبض بالحس والحركة
وأخيراً الخاتمة وأهم ما توصلتُ إليه .
ولا يفوتني أن أتقدم بجزيل شكري وامتناني إلى كل من ساعدني بحرف وذلل علي ما كنتُ أراه صعباً وأنا في مسيرتي لكتابة هذا البحث؛ لان هدفي هو أظهار الحقائق بأمانة وتجرد واستجلاء ، والله من وراء القصد.

التمهيد

(الإمام الحسن ولادته ونسبه)

أحمد الله الذي هيأ لي دراسة جانب من جوانب حياة الامام الحسن بن علي (عليهما السلام)، فتفرغتُ لذلك برهةً وألزمتُ نفسي التنقيب عن حقيقة قد تضيع بين أستار ظلمات التأريخ ، مستوفيةً الصدق أبداً وممحصةً في ما قال أو قيل عنهُ، فحياة الإمام الحسن كانت واضحة حيناً وغامضة أحياناً أخرى ؛ لأن عهدهُ قد تناولتهُ فوضى الروايات ، فشوهت الصورة ، وطمست خطوطها وحقيقتها فصعُبَ فهمها واستيضاحها كما كانت.

وحياة الأمام الحسن بن علي (عليهما السلام) بشكلها وصيغتها صفحة لها قيمتها وجلالها ؛ لأنها حياة رجل عرف كيف يعيش في طاعة الله ، فالعبادة عندهُ ليست طقوس دينية أو تكليف شرعي أو انعزال الإنسان عن مجتمعهِ وتكريس وقته ، إنما يعيش الإنسان مع الجماعة وهو في مستقره مخافة الله فإذا تعزز هذا الشعور في نفس الإنسان فإنهُ لا يسرق ولا يظلم ولا يكذب ولا يرتكب الموبقات ، فالحسن (ع) كان يشعر بثقل المسؤولية المتحتمة عليهِ ؛ لأنهُ عاش بين خصمين قويين هما معاوية بن أبي سفيان من جهة والخوارج من جهة أخرى .

ولِدَ بالمدينة ليلة النصف من شهر رمضان المبارك سنة ثلاث من الهجرة [٣] وفي رواية أنهُ ولِدَ (عليهِ السلام) سنة أربع من الهجرة [٤] ، ولمَّا بلغ نبأ ولادة الصدِّيقة الزهراء (عليها السلام) بالمولود المبارك غمرت الفرحة وموجات من السرور قلب النبي المصطفى (صلى الله عليه وآله) فسارع إليها لتهنئتها بمولود ها الجديد ويبارك بهِ لأخيهِ أمير المؤمنين ، وقام (ص) فسرأهُ وألباه [٥] .

وضمهُ إلى صدره ورفع بيدهِ إلى السماء بالدعاء " اللهمَّ إني أُعيذهُ بك وذريته من الشيطان الرجيم " ثمَّ أحتضنهُ وأذن في أذنه اليمنى وأقام في أذنه اليسرى قائلاً: الله أكبر ... الله أكبر ...أشهدُ أن لا اله إلاَّ الله [٦] هذه الكلمات العظيمة أول ما فتح الإمام الحسن أسماعهُ عليها ، وجاءت تسميته من السماء فسماهُ النبي حسناً ، وقال (ص) : هذا الاسم مشتق من الإحسان، وحلق شّعره يوم سابعهِ وتصدق بزنته فضة ، وعقَّ عنهُ كبشاً [٧].

وكان يشبه النبي إلى حدٍ كبير حتى وصل الأمر إلى قول الرسول (ص) (أشبهتَ خَلقي وخُلقي) [٨]

وكنيته أبو محمد وأبو القاسم [٩] ، أما ألقابه السيد والسبط والأمير والحجة والبر والتقي والأثير والزكي والأول والزاهد [١٠] .

وهو أول أحفاد الرسول (ص) أصحاب الطهر الَّذين خصهم تعالى في قوله " أنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا" [١١]

وقام الإمام الحسن بعد أبيه وعمره سبعٌ وثلاثون سنة وأقام في خلافته ستة أشهر وثلاثة أيام وصالح معاوية سنة إحدى وأربعين [١٢] ؛ مما أضطرَّ حجر بن عدي بالقول " أما والله لوددتُ أنك متَّ في ذلك اليوم ومتنا معك ولم نرَ

هذا اليوم ، فإنا رجعنا راغمين بما كرهنا ، ورجعوا مسرورين بما أحبوا ، فقال له الحسن (ع) : سمعتُ كلامك في مجلس معاوية وليس كل إنسان يحب ما تحبب ولا رأيه كرأيك ولم أفعل ما فعلت ألا إبقاءً عليكم ، والله تعالى كل يومٍ في شأن [١٣].

وللإمام الحسن صولات وجولات مع معاوية ومن بمعيته فكان (عليه السلام) يستغل المناظرة في تثبيت أحداث وتأكيد حقائق [١٤]

وهذا ما سنأتي عليه في المبحث الأول من خلال ما سنورده من شعره

المبحث الأول

البديع لغةً وأصطلاحاً

البديع لغةً : بدع الشئ يبدعهُ بدعاً ، وأبتدعهُ أنشأهُ وبدأهُ .... والبديع : الشئ الذي يكون أولاً .... والبديع : المحدث العجيب . وأبدعتُ الشئ اخترعت لا على مثال [١٥]

وجاء في قوله تعالى "بديع السموات والأرض " [١٦] أي خالقهن على غير مثال .

وللخطيب القز ويني المتوفى سنة ٧٣٤ هـ تعريفان يكادان يكونان تعريفاً واحداً ، يقول في أولهما : " هو علمٌ يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة " [١٧] وفي ثانيهما " هو علمٌ يُعرف بهِ وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ، ووضوح الدلالة " [١٨]

وبعد أن شاع البديع في شعر الأقدمين وخطبهم نهض أبن المعتز المتوفى سنة ٢٩٦ بجمع ضروبه في كتاب حمل أسم (البديع) فكان أول من أفردهُ بدراسة مستقلة .

وقد أفرد الخطيب القز ويني بابه الثالث من كتابه الإيضاح في علوم البلاغة لعلم البديع وفنونه والتي تتضمن المحسنات المعنوية كالمطابقة والمقابلة ومراعاة النظير والاستطراد والتورية واللف والنشر ، وتأكيد المدح بما يشبه الذم ، والذم بما يشبه المدح ، وتجاهل العارف ، أما المحسنات اللفظية كالجناس والسجع ورد العجز على الصدر والموازنة والقلب ولزوم ما لا يلزم ... الخ ، وهو التبويب الَّذي انتهى إليه الخطيب القز ويني إلى يومنا هذا وأستقرَّ عليه الدرس البديعي . [١٩]

البديع في شعر الإمام الحسن (عليه السلام)

قال الإمام الحسن (عليه السلام) في مقطوعة لهُ بعنوان (الرحيل) :

قل للمقيم بغير دار إقامةٍ حان الرحيل فودع الأحبابا

إنَّ اللذين لقيتهم وصحبتهم صاروا جميعاً في القبور ترابا [٢٠]

فالمقيـــــم هي لفظة (حقيقية)ومعناها الدنيا ، وبغير دار اقامةٍ (تعبير مجازي) ومعنـــــــاها زوالها أو الرحيل ، وهذا (طباق) وهو" الجمع بين الضدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة " [٢١]

فالشاعر في انتقاله من الحقيقة إلى المجاز يريد إشغال الذهن بحقيقة زوال الدنيا لتصوير الهوة بين واقع فاني ومستقبل باقي ومأمول .

أما الفن الآخر وهو من المحسنات اللفظية وهو (لزوم ما لا يلزم)وكما عرفه الخطيب القز ويني " أن يجيء قبل حرف الروي وما في معناه من الفاصلة ما ليس بلازم في مذهب السجع "[٢٢]

ويتضح هذا الفن في لفظتي (الأحبابا _ ترابا)فيتضح أن الشاعر ألزم نفسهُ بأكثر من حرفين في نهاية البيتين وهما (الألف – الباء – الألف) وثلاث حركات وهي (السكون – الفتح – السكون) وقد تكون الألف وحدها كافية لاستقامة الوزن والقافية ، وهذا الفن هو ضربٌ من السجع وان وقع في الشعر ولجأ اليه الشعراء ؛ فهو دليل على قوة شاعريتهم وتمكُّنهم من اللغة والعروض .

وللإمام الحسن (ع) مقطوعة في باب القناعة يقول فيها :

لكسرة من خسيس الخبز تشبعني وشربة من قراح الماء تكفيني

وطِمرةٍ [٢٣]من رقيق الثوب تسترني حياً وان متُّ تكفيني لتكفيني [٢٤]

وهذا الفن الذي ورد في البيتين هو أحد المحسنات المعنوية ويطلق عليهِ (مراعاة النظير) أي "الجمع بين النظير ونظيره أو الشبيـــــه وشبيهه في عبارة واحدة على وجه إنَّ أحدهما يذكر بالآخر أو هو من فصيلته في المعنى والدلالة "[٢٥]

كما في (تشبعني –تكفيني – تسترني) فقد روعي النظراء بالجمع بين مفردات تلتقي في وحدة المضمون والمناسبة .

ومراعاة النظير يكون في المعنويات أو يكون في الماديات مثلما ورد في مقطوعة الشاعر هذه

إذ جمع فنون بديعية عدة في مقطوعة صغيرة دون تكلف أو إفراط .

وورد في البيتين(فن الجناس)في آخر لفظتين من البيتين وهما (تكفيني– لتكفيني) فالأولى معناها الكفاية من الشئ ،والثانية تعني الكفن الَّذي يوارى به الميت قبل دفنه.

وهو إتفاق تام بين اللفظتين أي عدد الحروف وهيئاتها ونوعها وترتيبها وهو(الجناس التام)

أي " أن يورد المتكلم –في الكلام القصير نحو البيت من الشعر والجزء من الرسالة أو الخطبة – كلمتين تجانس كل واحدة منهما صاحبتها في تأليف حروفها" [٢٦]

أما في باب السخاء والبخل فلهُ مقطوعة يقول فيها :

إنَّ السخاء على العباد فريضةٌ لله يقرأ في كتابٍ محكمِ

وعد العباد الأسخياء جنانه وأعدَّ للبخلاء نار جهنمِ

مَنْ كان لا تندى يداهُ بنائلٍ للراغبين فليس ذاك بمسلمِ [٢٧]

ورد في عجز البيت الأول (اقتباس) وهو أحد الفنون البديعية ، من قوله تعالى "كتابٌ أحكمت آياته ..."[٢٨] ، أي آياته محكمةٌ في النظم والوضع فلا للأحد حقٌ في نظمه أو في معناه ، أي لا يدخل آياته الفساد والتناقض .

أما البيت الثاني فهو اقتباس من قول الإمام علي (ع) في قوله " عجبـــــتُ للبخيل يستعجل البخل الَّذي منهُ هرب ، ويفوته الغنى الَّذي إياه طلب ، فيعيش عيش الفقراء ويحاسب في الآخرة حساب الأغنياء "[٢٩]
فالبخل صفة مذمومة خصها القرآن بالذكر في أكثر من موضع.
أما البيت الثاني ففيهِ مقابلة بين الصدر والعجز على جهة المخالفة ، والمقابلة كما أوردها الخطيب القز ويني " هي أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ثمَّ بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب " [٣٠]
فهي تكون بين الأضداد وغير الأضداد ، كما وردت في الموضع السابق في مقابلة الجنة التي أعدت للأسخياء بالنار التي أعدت للبخلاء ، فقابل الشاعر بين الجنة والنار، والبخلاء والأسخياء ، والوعد الحسن والأعداد بعد الوعيد. فقد أقرَّ علماء البديع على أنَّ أعلى رتب المقابلة وأبلغها ما كثر فيهِ عدد المقابلات ؛ ولكن شريطة الابتعاد عن التكلف والإسراف .

وللشاعر مقطوعة أخرى يقول فيها :

لئن ساءني دهرٌ عزمتُ تصبراً وكلُّ بلاءٍ لا يدومُ يسيرُ
وان سرَّني لم أبتهج بسروره وكلُّ سرور لا يدومُ حقيرُ[٣١]

فكلُّ بيت تضاد في معانيه مع البيت الآخر إلاَّ أنهما يتفقان في معنى (لا يدوم)أي فناء الدنيا الزائلة وهذا ما يُذكِّرنا بهِ أمامنا الحسن المجتبى (ع) بين الحين والآخر في قصائده التي تخاطب العقول والأذهان قبل القلوب والأسماع .
وإذا مـــــا انتزعنا كلُّ لفظٍ من عبارته وجدنـــــــــا ما يقابله من التضاد ، وهذا ما يطلق عليه (الطباق) كما في (ساءني ، سرني) و(يسيرُ ، حقيرُ) ، فالطباق الأول بين أفعال والثاني وقع في الأسماء .
وله مقطوعةٍ أخرى يقول فيها :

أين مَن كان لعلم المصطفى في الناسِ بابا أين مَنْ كان أذا قحط الناس سحابا
أين مَنْ كان إذا نودي للحرب أجابا أين مَنْ كان دعاهُ مستجاباً ومجابا[٣٢]

فهذا الاتفاق بين الضرب والعروض(بابا ، سحابا) في الوزن وحرف القافية هو ما يُطلق عليهِ (التصريع) الَّذي يهيىء للكلام نوعاً من الانسجام الموسيقي ، وضرباً من التوازن والنغم ، إذ يقول قدامه بن جعفر " إنما يستحسن التصريع في البدء ؛ لأنه أوقع في الأذن ، وأجمع في النغم ، وأظهر للموسيقى ، وفيهِ إشعار بأنَّ القائل آخذ في كلام موزون غير منثور " [٣٣]
ويبدو تمكُّن الناظم من فنون البديع وموهبته الفائقة في إيراد أكثر من فن أو لون بديعي في موضع واحد دون إسهاب أو تكلف.
فالفن الآخر هو (الجناس) في لفظتي (مستجاباً ، ومجاباً) وهو جناس من النوع غير التام (الناقص) في عدد الحروف .

ف (أجابا) : قضى الدعوة مع اللين

أما (مستجاباً) : قبل دعاءه.. وأجاب إليهِ بالقبول [٣٤] ، وترى الدكتورة سناء البياتي " أنَّ الجناس ضربٌ من ضروب التكرار المؤكد للنغم من خلال التشابه في تركيب الألفاظ ، وهذا التشابه في الجرس يدفع الذهن إلى إلتماس معنى تتصرف إليهِ اللفظتان " [٣٥]

إذ أنَّ للتكرار الذي وردَ في الألفاظ (أجابا ،مستجاباً ، حجاباً)أثرهُ الإيقاعي والمعنوي ، فهو يؤدي إلى زيادة الإيقاع والتمييز، وهو في التعبير الأدبي " تناوب الألفاظ وإعادتها في سياق التعبير بحيث يشكل نغَماً موسيقياً يقصده الناظم في شعره والناثر في نثره ؛ لذا فلهُ قيمة جمالية ومعنوية" [٣٦] .

ولهُ بيتٌ يتيم يقولُ فيه :

نسودُ أعلاها وتأبى أصولها فليت الَّذي يسودُ منها هو الأصلُ [٣٧]

فلفظتي (أصولها–الأصلُ)اللتان وردتا في صدر البيت وعجزه هو فنٌ بديعي يطلق عليهِ رد العجز على الصدر وهو " أن يكون أحد اللفظين في أخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني "[٣٨]

وهذا الفن وارد في الشعر والنثر على السواء، إلا أنهُ يشترط في النثر أن يكون أحد اللفظين المكررين في أول الفقرة أو العبارة والآخر في آخرها [٣٩] .

فتكرار اللفظ يفيد قوة في قرع الأسماع وإثارة الأذهان [٤٠]

ولهُ مقطوعة بعنون (التفاخر بالنسب الشريف) يقول فيها :

أتأمر يا معاوي عبد سهمٍ بشتمي والملأ منا شهودُ

أذا أخذت مجالسها قريشٍ فقد علمتْ قريش ما تريدُ

قصدت إليَّ تشتمني سفاهاً لضعفٍ ما يزولُ وما يبيدُ

فما لك من أبٍ كأبي تسامى بهِ مَنْ قد تسامى أو تكيدُ

ولا جدٍ كجدي يا أبن هندٍ رسول الله إن ذُكِرَ الجدودُ

ولا أمٍ كأمي من قريش أذا ما يحصل الحسب التليدُ

فما مثلي تهكَّم يا ابن هندٍ ولا مثلي تجاريه العبيدُ

فمهلاً لا تهج منا أموراً يشيب لها معاوية الوليدُ[٤١]

فجاء البيت الأول في معرض التوبيخ بحيث أصطنع الإمام الحسن (عليه السلام) موقفاً غير الموقف الحقيقي في الظاهر ، فيتظاهر بالجهل أو بالاستفهام عن حقيقة يجهلها وواقع الحال أنهُ يعرف الحقيقة ويستنكرها، فهذا الفن هو (تجاهل العارف)وهو " إخراج ما يعرف صحتهُ مخرج ما يشك فيهِ ليزيد بذلك تأكيداً "[٤٢]

ثم يقرر الإمام الحسن (عليه السلام) ما ينبغي أن يكون قائماً عندما يُعرف بأمه وجده وأبيه ثم لينتهي ويختتم قصيدته ببيت القصيد عندما يذكر معاوية الوليد وهي (تورية)إذ وقع في لفظ واحد معنيان ، معنى قريب ظاهر ومعنى خفيٌ بعيد هو الذي يريده الأديب أو المتكلم [٤٣]

فالمعنى الظاهر للفظة الوليد : هو المولود حين يولد (للذكر أو الأنثى) [٤٤]أما المعنى الآخر الخفي وهو المقصود: كل مَنْ جاء بصفات وتصرفات معاوية من بعده ؛ لذا فالتورية كانت وما تزال لغة التفاهم بين الأديب البارع والسامع الذكي المثقف .

المبحث الثاني

(البديع في ما قيل فيهِ من شعر)

سبق وأن تناولنا في المبحث الأول أشعار الإمام الحسن (ع) ، على الرغم من انها لم يصل منها إلاَّ القليل فاستخرجنا الفنون البديعية التي وردت، أما في هذا المبحث فنحنُ بصدد ما قيل فيهِ، بحقِّ ولادته ووفاته وأحقيته بالخلافة رثاءً ومديحاً وفخراً بنسبه وانتسابه وقد قيل فيهِ الكثير الكثير ، وما نذكرهُ إلاَّ الجزء القليل.

وللعلامة السيد محمد جمال الهاشمي قصيدة بمناسبة ميلاده (ع) ، يقول فيها :

تُهنى نبي العالمين بمولدٍ لهُ أنتصر الإسلام وأندحر الكفر

فيا ربِّ أنا عائذون بحبهِ من الضرِّ إذ في حبه يُكشَفُ الضرُّ[٤٥]

فالشاعر في البيت الأول وتحديداً في عجزهِ أورد كلاماً ثمَّ قابلهُ بمثلهِ في المعنى واللفظ، على جهة المخالفة لانتصار الإسلام وما يقابلها من اندحار الكفر، وإذا ما تمعنا نجد كل لفظة من هذه المعاني المتوافقة يقابلها الضد (كالانتصار ، والاندحار) و(الإسلام ، والكفر) وهو (فن الطباق).

أما البيت الثاني فلا يخفى على السامع أو القارئ فقد وردَ فيهِ أحد فنون البديع وهو (رد العجز على الصدر) وهو ما جاء في قولهِ (من الضُرِّ إذ في حبهِ يُكشَف الضرُّ) فإحدى اللفظتين المكررتين وردت في عجز البيت وتحديداً في ضربهِ، والثانية في صدر عجز البيت ،وهذا التكرار في اللفظ لهُ أثرهُ الإيقاعي في الأسماع والنفوس مما يسهم في زيادة الإيضاح والتمييز .

وللسيد الرضي بن العلامة المقدس السيد محمد الهندي النجفي قصيدة طويلة يعترف بأحقية الأمام الحسن بن علي (ع) ومظلوميته يقول فيها :

ما أبصرت عينٌ ولا سمعت أُذُنٌ بمن ساواهُ في المحنِ[٤٦]

فالشاعر يستحضر جو النص الشعري وهو يستحسن الر بط بين الحواس ، متأثراً بالحديث النبوي الذي رواهُ مسلم والبخاري قال : قال رسول الله :قال الله تعالى : أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عينٌ رأت ولا أُذُنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر " [٤٧] والحديث بيانٌ لما أعدهُ الخالق لعباده المؤمنين من النعيم المقيم في جنة الخلد.

ولدعبل الخزاعي نظمٌ بحق الإمام الحسن يقول فيه :

لا أضحك الله سن الدهر إن ضحكت يوماً وآل أحمد مظلومون ما قهروا

مشردون نفوا عن عقر دارهم كأنهم جنوا ما ليس يُغتفرُ[٤٨]

فالفن البديعي الذي ورد هو (حسن التعليل) وهو " أن يلتمس الأديب للشئ أو للظاهرة علة أدبية طريفة تناسب العرض الَّذي يرمي إليه بدلاً من علته أو علتها الحقيقية" [٤٩]

فالشاعر دعبل الخزاعي ينكر صراحةً علة مظلومية آل بيت المصطفى كونهم لسان الحق الناطق ليأتي بعلة تناسب ما واجهوه من تعذيب وتشريد بلفظة (كأنَّ)، وهو جزاء فعالهم السيئة ويأتي الشاعر بهذا التشبيه لإثبات مظلوميتهم ، وتأكيد الجزء الأول من المعادلة والإقرار بها، والشاعر في معرض (تجاهل العارف) .

ويروى أنَّ زينب بنت على (ع) قد أقبلت على مصرع أخيها الحسن(ع) وشهقت شهقة كادت روحها تخرج منها وبكت بكاءً شديداً حتى غُشي عليها ولما فاقت من غشوتها بكت وقالت :

أخي إنْ كنتَ قد أبكيتَ عيني فقد أضحكتني زمناً طويلا

بكيتك في النساء معولاتُ وكنتُ أحق من يبدي العويلا

دفعت بك الخطوب وأنت حيٌ فمن ذا يدفع الخطب الجليلا

أذا قبح البكاء على قتيلٍ رأيتُ بكاءك الحسن الجميلا[٥٠]

في البيت الأول وردت مقابلة بين شطرين من حياة العقيلة زينب (ع)، فالحياة الأولى قبل وفاة أخيها الحسن (ع)وهي تصفها بالزمن الطويل ؛ لإسترخائها وشدة بهجتها بحنان الأسرة المثالية .

والحياة الثانية بعد وفاة أخيها وتوالي النكبات عليها وشدة حزنها وبكائها على فقد الأحبة، وهذهِ هي المقابلة أي " أن تأتي بمعنيين متوافقين أو معانٍ متوافقة ، ثمَّ بما يقابلهما أو يقابلها على الترتيب "[٥١]

أما البيت الثاني في قولها (معولاتٌ – عويلا) والبيت الثالث في قولها (الخطوب –الخطب الجليلا) فقد وردَ فنٌ بديعي هو (رد الأعجاز على الصدور) أي " أن يكون أحد اللفظين في آخر البيت والآخر في صدر المصراع الأول أو حشوه أو آخره أو صدر الثاني "[٥٢]

ونجد البيت الأخير هو مقابلة أخرى جديدة ، في تقبل أمر الله والانقياد للقضاء والقدر وهي تصفها (ع) بالحسن الجميل؛ لأنَّ فيهِ إيصال لمرتبة أشرف عند الله وهو بكاء لا يقابله بكاء على أي قتيل؛ لذا " فتناوب الألفاظ وإعادتها في سيـــــاق التعبير بحيث يشكل نَغَماً موسيقياً يتقصده الناظم في شعره ، والناثر في نثره لهُ قيمة جمالية ومعنوية " [٥٣]

وللشيخ سلمان بن الحاج أحمد عباس البحراني الملقب بالتاجر قصيدة يقول في آخرها:

لهف نفسي على النعش محمولاً خلياً من كلِّ عارٍ وعاب [٥٤]

فلفظتي (العار – والعاب)هما من جذرٍ واحد، سوى اختلاف في نوع الحرف الأخير، وأما المعنى فمختلف، وهذا ما يُطلق عليهِ (الجناس الناقص) وهو أحد أنواع (الجناس غير التام)

وللشيخ أحمد الوائلي (رحمهُ الله) قصيدة طويلة في مدح الأمام الحسن يقول فيها :

تتناغم الأسحار من ترديده إياك ربي أستعين وأعبدُ

يتلو الكتاب فينتشي من وعدهِ ويهزهُ وقع الوعيد فيرعدُ

ثمَّ يسترسل ويقول :-

أنحى عليكَ الناكثون بغدرهم والقاسطون والمارقون تمرَّدوا[٥٥]

وأستوحش المحراب حبراً طالما ألقاهُ في كبد الدجى يتهجَّدُ

مهلاً فما مدح اللباب بقشره والسيف يبني المجد وهو مجرَّدُ [٥٦]

ففي البيت الأول ورد اقتباس قرآني من سورة الفاتحة في قوله تعالى " إياك نعبدُ وإياك نستعين " [٥٧] وهذا التلاؤم الصوتي بين شطري البيت يشكل مع الدلالة المعنوية عنصري الجمال والذوق ،اللذان امتازت بهما اللغة العربية، فهي " لغة تعنى بالناحية الجمالية والذوقية ؛ ولهذا لم تفقد علوم البديع قيمتها ، ما دامت هذهِ الفنون وسيلة من وسائل الجمال والتأثير في النفوس "[٥٨]

أما البيت الثاني ففيهِ (طي ونشر) وجاء في الإيضاح " هو ذكر متعدد على جهة التفصيل أو الإجمال ، ثمَّ ذكر ما لكلٍّ واحد من غير تعيين ، ثقةً بأنَّ السامع يردهُ إليهِ "[٥٩]

والشاعر يقتصر على ذكر واحد وهو تلاوة كتاب الله ليخلص إلى الانتشاء والاستمتاع بوعد الله الحق في جنات الخلد والخوف من وقع الوعيد – النار– وما حذَّر بهِ تعالى .

أما البيت الثالث ففيهِ (اقتباس) من قوله تعالى "وإن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر أنهم لا أيمان لهم لعلهم ينتهون " [٦٠]

أما البيت الرابع ففيهِ (تورية) وتحديداً في لفظة (كبد الدجى) فالمعنى اللغوي للكبد :هو جزء مهم من الكائن الحي ويحتل مكانة كبيرة في جوفهِ، أما المعنى الآخر المجازي الذي يتفق مع السياق هو : وسط الليل والجزء الأكبر منهُ وهو أكثر انسجاما مع (التهجد) .

أما البيت الأخير والذي يشكل بيت القصيد ففيهِ (حسن التعليل) وهو "أن يلتمس الأديب للشئ أو للظاهرة علَّة أدبية طريفة تناسب الغرض الَّذي يرمي إليهِ بدلاً من علتها الحقيقية "[٦١] فالفضل لجوهر الشيء لذاته ودالته وليس لما يزوِّقهُ ويحيط بهِ، أي أنَّ فضل اللب محفوظ ليس بقشره، كما هو السيف ليس بجمال غمده؛ وإنما كيف ينتقم عندما يستل.

الخاتمة

وخيـــــــــــرُ ما أفتتح بهِ بحثـــــــــي وأختتم هو الصلاة والسلام على خير مبعوثٍ دعا إلى خير معبودٍ وعلى آله الأطهار.

فإنَّ غايـــــــة البديع بفنونه المتعددة هو التزويق والتنميق والإيضاح ؛ ليكون النظم أنفذ إلى النفوس منها إلى الأذهان ، وقد تجسد البديع بفنونه المتعددة في القصائد التي نسبت الى الامام الحسن (ع) الذي عاش في بيئة دينية ، متشرِّباً لأفكار القرآن في كَنَف جدهِ النبي محمد (ص) مضمناً تارة ومقتبساً أخرى ، لا تخلو قصائدهُ على أقلها من فنون البديع .

على الرغم من كونه خطيباً وفقيهاً وموعِّظاً لهُ من العلم ما يسندهُ في توجيه الدعوة وجهة صحيحة ؛إلاَّ أنَّ كونه شاعراً زادهُ من الفضل فضلاً، فهو يحسن لكلِّ مقامٍ مقال ولكل مقالٍ ختام.

أما ما قيل بحقه من الشعر فهو الشيء الكثير والتي لا تتسع صفحاتي لحصرها تزيِّنها فنون بديعية رائعة .

ولا بُدَّ من الإشارة إلى أني لم أكلف نفسي عَنتَ تشويه النصوص أو تحويرها أرصاداً لشهوة أو إرضاءً لغلة أمَّا كوني أصيب أو أخفق فهذا شأن الناس جميعاً ، ولطالما حاولتُ جعل نفسي نكرة وخاصة فيما يتعلق بمذهب الإمام الحسن (ع) وسياسته متناولة أشعارهُ بقلمٍ متواضع لا تشوبه الميول ولا تعترضه النزعات ، والله من وراء القصد .

المصادر والمراجع

١-القرآن الكريم

٢-أبن أبي الأصبع المصري بين علماء البلاغة /د. حنفي محمد شرف/ ط١ /ز /مطبعة نهضة مصر/ د.ت .

٣-الإرشاد / للشيخ المفيد/ط٢ / المطبعة الحيدرية -النجف- / د.ت .

٤- الألفين في أحاديث الحسن والحسين /للشيخ علي حيدر المؤيد/ ط /ج١ /مؤسسة البلاغ بيروت .

٥-الإمام الحسن بن علي المجتبى(ع)/عبد الودود الأمين/ مراجعة وتقويم : الشيخ عفيف النابلسي / ط١ / دار التوجيه الإسلامي/بيروت / ١٤٠٠ -١٩٨٠م.

٦- الإمام المجتبى مهجة قلب المصطفى/أحمد الرحماني الهمداني / ط١ / مطبعة أفست زنبق/ المكتبة الوطنية الإيرانية / ١٤٢٦هـ .

٧- الإيضاح في علوم البلاغة/ للخطيب القز ويني/ دار الكتاب اللبناني -بيروت-/ ١٩٧١م .

٨-بحار الأنوار /محمد باقر ألمجلسي / ج٤٤ /ط /المكتبة الإسلامية -طهران- / د.ت .

٩- البديع / لأبن المعتز ٢٩٦/تحقيق: كراتشوفسكي/ لندن ١٩٣٥م

١٠- البلاغة العربية / د.سامي أبو زيد ، أ .د عبـــــد الرؤوف زهدي / ط١ / مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع / ٢٠١١ م .

١١- البلاغة والمعنى تفسير أبو السعود/حامد عبد الهادي حسين/ مركز البحوث والدراسات الإسلامية / ١٤٢٨-٢٠٠٧ م.

١٢-بناء الصورة الفنية في البيان العربي- موازنة وتطبيق-/ ز. كامل حسن البصير/ مطبعة المجمع العلمي العربي/ ١٤٠٧-١٩٨٧م

١٣-التلخيص في علوم البلاغة/ للخطيب القز ويني/ تحقيق:ألبرقوقي / المكتبة التجارية الكبرى بمصر/ ١٩٣٢ م.

١٤-جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب /ماهر مهدي هلال / دار الحرية للطباعة / بغداد ١٩٨٠ م

١٥- الحسن بن علي -دراسة وتحليل-/ كامل سليمان /ط٥ /دار التعارف للمطبوعات / بيروت -لبنان/سنة ٢٠٠٤م .

١٦- حياة الإمام الحسن/للقرشي/ ط٣/ج١ / مطبعة الآداب في النجف / د.ت

١٧-ديوان الشيخ أحمد الوائلي / للشيخ أحمد الوائلي/ط٢ /مطبعة دفتر تبليغات إسلامي/ ١٣٨٢-١٤٢٤هـ .

١٨- ديوان دعبل الخزاعي / جمعه : عبد الصاحب عمران الدجيلي / ط٢ / دار الكتاب اللبناني / ١٩٧٢ .

١٩-رياض المدح والرثاء في مدح ورثاء النبي وآل بيته الأطهار / حسين بن الشيخ علي بن الحسن البحراني/ صححه وعلق عليه : حسن عبد الأمير ، أنتشارات المكتبة الحيدرية المقدسة / ط٣ / مطبعة شريعت / ١٤٢٤هـ.

٢٠- زاد المسلم فيما أتفق عليه البخاري ومسلم /للحافظ سيدي محمد حبيب الله الحكيني / ج١ / دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع / ١٩٨١ .

٢١-علم البديع/ وليد إبراهيم القصاب / دار الفكر – دمشق ٢٠١٢م .١٢٠- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني)/محمد أحمد قاسم /محي الدين ديب /المؤسسة الحديثة للكتاب /طرابلس -لبنان/٢٠٠٨م .
٢٢- كتاب الصناعتين /لأبي هلال العسكري/تحقيق : علي البجاوي ، محمد أبو الفضل إبراهيم/عيسى البابي الحلبي -القاهرة-/ ١٩٧١م .
٢٣-كشف الغمة / للعلامة الأربلي/ج٢ / مطبعة النجف / د.ت .٤٢٣-كلمة الأمام الحسن /للشهيد حسن الشيرازي /ط / مؤسسة الوفاء -بيروت
٢٤- لسان العرب/لأبن منظور/ طبعة دار المعارف / مصر / د. ت .
٢٥-المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر / ضياء الدين بن الأثير .ت.٦٣٧/ شرح وتحقيق أحمد الحوفي / ط٢ / منشورات دار الرفاعي / ١٩٨٣ م .
٢٦-المحاسن والمساوئ /إبراهيم بن محمد البيهقي /ط / دار الكتب العلمية / بيروت / ١٤٢٠هـ
٢٧- مع النبي وآله / السيد محمد جمال الهاشمي /للسيد محمد جمال الهاشمي/ط ١:سبهر/ ط١/ ١٤٠٦هـ .
٢٨-معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب/ وهبة – المهندس / مكتبة لبنان / ١٩٧٩م .
٢٩-المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات/ ط٢ / ج٢/دار الدعوة / استانبول / د .ت .
٣٠-المعين في البلاغة(البيان -البديع -المعاني)/ أعداد : قدوري مايو / أشراف : د. أميل بديع يعقوب / ط١ / عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت / ١٤٢٠ -٢٠٠٠م .
٣١- المناقب (مناقب آل أبي طالب)/لأبن شهر أشور السروي/ ط : قم /ج٤/ د.ت .
٣٢-منهج جديد في البلاغة والنقد /سناء البياتي/ بنغازي /ط١ / منشورات جامعة قار يونس/ ١٩٩٨م.
٣٣- نقد الشعر/ قدامة بن جعفر/تحقيق وتعليق:د.محمد عبد المنعم خفاجي / دارالكتب العلمية- بيروت/د.ت.

الدوريات

١-الأمام الحسن ينتصر لأبيه بالآيات القرآنية /مجلة الأحرار/ العدد ٤٩٨ / الأمانة العامة للعتبة الحسينية المقدسة / ٦١ / ٧ / ٢٠١٥م

الانترنيت

١- أدب الإمام الحسن (ع) – منتديات عيون العراق
www Iraq. Eues. Com'shor thread
٢- البخلاء أكثر الناس حسده يوم القيامة/ سعد مغيمش
al-hoda on lin.com \np\٣٠-١١-٢٠
٣- ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت
fatwa.islam wep. Net\ftwa\ inde
٤- المستدرك على الصحيحين/
Wwwaqaed.com\ faq\٨٤٧

الهوامش

١-بناء الصورة الفنية في البيان العربي-موازنة وتطبيق- / د. كامل حسن البصير /ص ٤٥٤
٢-البديع / لأبن المعتز / تحقيق : كراتشوفسكي/ ص٥٨
٣-الإرشاد / للشيخ المفيد / ط ٢ / ص ٢٠٥
-الأمام الحسن بن علي المجتبى (ع) / عبد الودود الأمين / ط١ / ص ١١
٤ - كشف الغمة / للعلامة الأربلي / ج ٢ /١٣٧ص
٥-الإمام الحسن بن علي المجتبى (ع) / عبد الودود الأمين / ط١ / ص١٢
٦- حياة الإمام الحسن / للقرشي / ط٣/ ج ١/ ص ٦٠-٦١
٧ - ينظر الحسن بن علي دراسة وتحليل / كامل سليمان / ط ٥ /ص ١٤-١٥
٨ -ينظر الإمام الحسن بن علي المجتبى (ع) / عبد الودود الأمين / ط١ / ص١٨-١٩
٩ - الإمام المجتبى مهجة قلب المصطفى / أحمد الرحماني الهمداني /ط ١ / ص ٦٠٧
١٠- المناقب / لأبن شهر أشوب السروي / ج ٤ / ص ٢٩
١١- سورة الأحزاب /آية ٣٣
١٢- أدب الإمام الحسن (ع) - منتديات عيون العراق
www Iraq. Eues. Com'shor thread
١٣- الإمام المجتبى مهجة قلب المصطفى / أحمد الرحماني الهمداني /ط ١ / ص٤٨٧
- بحار الأنوار / محمد باقر ألمجلسي /ج٤٤ /د . ط / ص ٥٧-٥٨
١٤-الأمام الحسن ينتصر لأبيه بالآيات القرآنية /مجلة الأحرار/ العدد ٤٩٨ / ص١٥
١٥- لسان العرب / لأبن منظور / مادة بدع
١٦- سورة الأنعام / آية ١٠١
١٧-التلخيص في علوم البلاغة / للخطيب القز ويني / تحقيق : ألبرقوقي/ ص ٣٤٧
١٨- الإيضاح في علوم البلاغة / للخطيب القز ويني / ص٤٧٧
١٩- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، د محمد أحمد قاسم/ ص ٦١-٦٢
٢٠- كلمة الإمام الحسن(ع)/ للشهيد حسن الشيرازي/ ط ١ /ص ٢٠٧
-الألفين في أحاديث الحسن والحسين/ للشيخ علي حيدر المؤيد/ ط ١ / ج ١/ص١٣
٢١- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب /وهبة ، المهندس / ص ١٣٠
٢٢- الإيضاح في علوم البلاغة / للخطيب القز ويني/ ص ٥٥٣
٢٣- الطِمرة : بالكسر الثوب البالي ،ووردت بالفتح أيضاً
-المعجم الوسيط / إبراهيم مصطفى ، أحمد حسن الزيات/ ط٢/ ج٢ ص ٥٦٥
٢٤- المناقب / لأبن شهر أشوب/ ط١ /ج ٤ / ص ١٥ -١٦
٢٥- المعين في البلاغة(البيان -البديع -المعاني)/ أعداد : قدوري مايو/ إشراف أميل بديع يعقوب/ ط١ / ص ١٢٧
٢٦ -كتاب الصناعتين / لأبي هلال العسكري/ص٣٣
٢٧- المناقب / لأبن شهر أشوب/ ط١ /ج ٤ / ص١٨
٢٨-سورة هود /آية ١
٢٩ - البخلاء أكثر الناس حسده يوم القيامة/ سعد مغيمش

al-hoda on lin.com \np\٣٠-١١-٢٠
٣٠-الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القز ويني / ص ٤٨٥
٣١- المناقب / لأبن شهر أشوب/ط١ /ج ٤ / ص ٣٥
٣٢-بحار الأنوار /محمد باقر ألمجلسي/ ج ٤٢ / ص٢٤١
- الألفين في أحاديث الحسن والحسين/ للشيخ علي حيدر المؤيد/ ط /ج ١ /ص ٤١٦
٣٣-نقد الشعر / قدامة بن جعفر / تحقيق وتعليق : د محمد عبد المنعم خفاجي / ص٨٧
-علم البديع/ وليد إبراهيم قصاب/ ص١٥٣
٣٤- المعجم الوسيط /أبراهين مصطفى ،أحمد حسن الزيات/ ج ٢/ ص ١٤٥
٣٥- ينظر منهج جديد في البلاغة والنقد/ سناء ألبياتي / ط١ /ص ١٩٤
-البلاغة العربية/ د. سامي أبو زيد، أ .د عبد الرءوف زهدي/ ط١ /ص ١٨٤
٣٦- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث البلاغي والنقدي عند العرب/ ماهر مهدي هلال/ ص ٢٣٩
٣٧-- الإمام المجتبى مهجة قلب المصطفى / أحمد الرحماني الهمداني /ط ١ /ص ٥٩١
٣٨-- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، د محمد أحمد قاسم ،محي الدين ديب /ص١٢١
٣٩- ينظر الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القز ويني/ص ٥٤٣
٤٠--المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر/ ضياء الدين أبن الأثير/ ج٣/ ط٢ /شرح وتحقيق: أحمد الحوفي/ص٢٥
٤١- الإمام المجتبى مهجة قلب المصطفى / أحمد الرحماني الهمداني /ط ١ /ص ٥٨٩
- المحاسن والمساوئ /إبراهيم بن محمد البيهقي/ ص٦٨
٤٢- كتاب الصناعتين / لأبي هلال العسكري/ تحقيق : علي البجاوي، محمد أبو الفضل أبراهيم/ ص ٤١٢
٤٣- المعين في البلاغة (البيان البديع المعاني)/ أعداد قدوري مايو/ أشراف : د. أميل يعقوب/ ص١٢١
٤٤- المعجم الوسيط /إبراهيم مصطفى ،أحمد حسن الزيات/ ج ٢/ ص ١٠٥٦
٤٥- مع النبي وآله/ السيد محمد جمال الهاشمي/ ج/ ط ١ /ص١١٥
٤٦- الأمام المجتبى مهجة قلب المصطفى / أحمد الرحماني الهمداني /ط ١ /ص ٦٨١
٤٧-زاد المسلم فيما أتفق عليه البخاري ومسلم /للحافظ سيدي محمد حبيب الله الحكيني / ج١ / ص٤٧
- ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت
fatwa.islam wep. Net\ftwa\ inde
٤٨- ديوان دعبل الخزاعي / جمعه : عبد الصاحب عمران الدجيلي / ط٢ / ص ١٨٦
-بحار الأنوار/ محمد باقر ألمجلسي/ ط/ ص٢٤٢
٤٩- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب / وهبة – المهندس / ص ٨٤
٥٠- الأمام المجتبى مهجة قلب المصطفى / أحمد الرحماني الهمداني /ط ١ /ص٦٦٩
٥١ – الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القز ويني / ص٤٨٥
٥٢- علوم البلاغة (البديع والبيان والمعاني) ، د محمد أحمد قاسم ،محي الدين ديب /ص١٢١
٥٣- جرس الألفاظ ودلالتها في البحث النقدي والبلاغي عند العرب/ماهر مهدي هلال/ ص٢٣٩
٥٤- رياض المدح والرثاء/ حسين بن الشيخ علي بن الحسن /ص٣٠١-٣٠٢

٥٥-(الناكثون أهل الجمل ، والقاسطون : أصحاب صفين،والمارقون : أصحاب النهر)
- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب / وهبة – المهندس / ص ٨٤
٥٦- ديوان الشيخ أحمد الوائلي/ للشيخ أحمد الوائلي / ط٢/ج ١/ ص٢٣-٢٤
٥٧- سورة الفاتحة / آية٥
٥٨- أبن أبي ألأصبع المصري بين علماء البلاغة / حنفي محمد شرف/ ط١ / ص٢٤
-البلاغة والمعنى تفسير أبو السعود/ حامد عبد الهادي حسين / ص١٧٨
٥٩- الإيضاح في علوم البلاغة / الخطيب القزويني / ص٥٠
٦٠--سورة التوبة :آية ١٢
٦١-المستدرك على الصحيحين/ ص٣٢٤
Wwwaqaed.com\ faq\٨٤٧